

يسمى فلسطين تكاد تكون جذباء في كل اطرافها .
لم يكن فيها من السكان سوى بعض القبائل
الرحل التي تجوب المناطق الاكثر فقرا في الشرق
الايوسط دون احترام للحدود الموضوعية . . . »
(ص ١٢٩) .

ومن هذا يستنتج بن جوربون ان الفلسطينيين
العرب لم يجبوا هذا البلد ابدا وانه « منذ نهاية
حكم اليهود لهذا البلد لم ينتج اي شعب آخر في
فعل شيء يذكر فيه . لست ادلي هنا بتصريحات
« وطنية » او ميثاقية ، اني اشير الى واقع
ملموس . لم تكن اسرائيل دولة حقيقية ، مستقلة
وقادرة على البقاء الا بين ايدي يهودية » (ص
١٣١) . « كلما حكم اليهود اسرائيل طفتحت الارض
بالحياة وكلما اخرجوا منها بقيت جذباء » (ص
١٢٢) . وعندما ينطلق بن جوربون من هذه
« الحقيقة » فانه لا بد ان يصل الى ان
الفلسطينيين ليس لهم ادنى حق على هذه الارض .
« انني واع كل الوعي بالحب الذي يكنه كل
انسان ازاء بلده الخاص . لكن عندما تعلن الدول
العربية والوطنيون الفلسطينيون المزعومون بعد
عشرين عاما ان السكان العرب كانوا دائما
يعتبرون فلسطين كوطن لهم وأن لهم حقوقا عليها
كوطن ، فان هذا الادعاء لا يمكن ان يؤخذ مأخذ
جد [. . .] . ان من يريد حججا اضافية على
انعدام العاطفة القومية الحقيقية [عند
الفلسطينيين] فان التاريخ الحربي كليل بذلك
[. . .] ان الجندي اليهودي يشعر انه مسؤول
على الدفاع عن هذا البلد الذي يعلم انه الوطن
الوحيد الذي يمكن ان يكون له . لكن الفلسطيني لا
يظهر اي عاطفة من هذا النوع . ولم يشعر بذلك؟
انه يشعر بنفس الراحة سواء في الاردن ، في
لبنان او في غير ذلك من البقاع . » (ص ١٣٦) .

ولنستمع الى بن جوربون يتحدث عما حققته
« الرواد اليهود » (وهو يقارنهم بالرواد
الاوربيين الذين اكتشفوا امريكا) في هذا البلد
المهجور ، الموبوء ، القفر . علاوة على احياء
هذا القفار فان الرواد اليهود قد خلفوا بواسطة
الكيبوتزات « اشكالا ثورية للحياة الجماعية » .
ويستطيع بن جوربون ان يقول « دون ان يتهم
بالمبالغة ان التجربة الاجتماعية التي يمثلها الكيبوتز
جديرة بأن تكون مثالا يحتذى به في بلدان عديدة .
اذ انها المثال الوحيد الموجود اليوم لشكل
ديموقراطي للاشتراكية . حيث تستعمل احدث

رغم عدم تدنيه الذي لا تفوته مناسبة للاعلان عنه .
ولا فرابة في ذلك ، اذ ان تلهيذ هرتزل يستطيع
أن يجوب الارض كلها دون ان يجد رابطا آخر يربط
يهوديا امريكا الى يهودي يمني او يهوديا بولنديا
الى يهودي مغربي . فالكذب المقدسة هي كل ثقافة
اليهود طالما يريد ايدولوجيو الصهيونية عـزل
اليهود عن بقية الانسانية . فعندما يتحدث بن
جوربون عن يهودي من الدياسبورا يميز بين حياة
الشخص كيهودي وحياته كموطن يعيش في بلد ما .
ويرى أن اليهودي يبقى دائما مزدوج الحياة
وناقصها طالما لم « يرجع الى ارض اليعاد » .
اما الاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه الفرد
« اليهودي » فهو الفناء نفسه في نظير بن
جوربون .

واضح ان الكتب المقدسة ليست الا أداة
يستعملها الصهاينة بديارية وحكمة لتعميم وعي
زائف لمشاكل الانسانية بصفة عامة ومشاكل
الاثليات اليهودية في البلدان المختلفة بصفة
خاصة . وبن جوربون هو في نفس الوقت جلاذ
وضحية هذا الوعي الزائف ، ضحية الايدولوجيا
السياسية التي ، مثل الانقسام النفسي ، ليست
الا نتيجة لفقدان السيطرة الجدلية على الواقع .
عندما يصبح الانسان أسير تفكير لا عقلاني من
هذا النوع فانه لا يتورع عن أي نوع من الكذب
والتضليل . كل وسيلة تصبح صالحة لتحقيق
الغاية . فالايديولوجيا الدينية - القومية المتهافنة
عندما تنزل الى الارض تصبح مجرد تزوير للواقع
والحقائق التاريخية . وعندما تتسلح هذه
الايديولوجيا تصبح مجرد عدوان . ويرجع هذا
العدوان بدوره الى مصدره الايدولوجي باحثا عن
تبرير لنفسه .

وفيما يلي نماذج لهذا التزوير اللاواعي أحيانا
والمتعمد في أغلب الاحيان : « في سنة ١٩٠٦ كانت
يافا الباب الرئيسي لدخول فلسطين عندما يأتي
المؤمن من الغرب . وبما أن البلاد نفسها كانت
احدى نواحي الارض المجهولة ، كان بابها ،
بالطبع ، متواضعا ! [. . .] كان الوافد عليها
يرى باعة تركيين ، فرنسيين ، وانجليز ، تجارا
ارمنيين ، بعض عمال الموانئ ، وبعض المسؤولين
العرب . . . » (ص ٥٧) .

« كانت القدس بلدة بائسة تتعاقب فيها الاكواخ
الغفرة والاثار المتداعية للسقوط . كانت ارض ما